(لم يكن لدى العقل النظري القيادي للجبهة الشعبية تصور محدد حول الانفجار الشعبي المقبل، ولكننا، منذ وقت، كنّا قد محصّنا انتفاضة أكتوبر الروسية، وقلنا إن الفائدة محدودة، نظراً لتباين شروط الزمان والمكان، وامسكنا بأهمية توافر قيادة عامة للانتفاضة، مثلما أمعنا النظر في كتاب روسّو عن الانتفاضة الإيطالية في بداية الثلاثينات، وكانت الفائدة أكبر بكثير سيما في بعدها التاكتيكي والتنظيمي، ولفتنا موقف عبد القادر الجزائري الذي رفع شعار الحرية والاستقلال رداً على مشروع الحكم الذاتي الذي اقترحه المستعمر الفرنسي فأمسكنا بالشعار، بل لقد انتحلناه وطرزناه هدفاً للانتفاضة الفلسطينية، وبالتالي فإن مزاعم بعض القوى الفلسطينية أنها نحتت هذا الشعار هي باطلة وهنا مفيد استحضار كلمات نابليون (الهزيمة يتيمة والنصر له مئة أب) ولم تشدنا بتاتاً تجربة عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي ضد المستعمر رغم عظمتها، فهي مفيدة للثورة الصينية أو الفيتنامية وذات الشيء يقال عن الثورة اليمنية أو الجزائرية.

كنا قد تمرنا مرات على الحكمة الصينية (وتّر القوس ودعه ينطلق) واستخدمنا هذه المقولة في تعاميمنا وتوجيهاتنا، فركن أساسي في مسيرتنا كانت التعبئة وتهيئة أدوات المقاومة، وهذه عملية بنائية دأبنا عليها على امتداد السنين ارتباطاً بالممارسة والمهمات.

وعندما صدرت «الرسالة الجيفارية» بمنطوقها وغناها سألنا وتساءلنا هل انتقلت الجبهة لمرحلة جديدة؟ إذ قرأنا بين سطورها توجهاً ضمنياً لبناء حركة غوارية مركزية، وهذا يتجاوز ما بلغته المسيرة الوطنية في الداخل، وبصراحة لم نكن نعرف عقبات ذلك ولا شروطه... فهذا التوجه كان من مسؤولية القيادة، والأسئلة الفضولية كانت خارج قاموسنا، لماذا ومتى وأين... ولكننا تفاءلنا كثيراً واقتنعنا بالوظيفة السياسية للحركة العصابية، فهي ستكون قفزة في أدائنا النضالي وجسر العبور لتحولنا لقوة أولى، وحينها وحينها فقط يمكن أن تكتسب كلمات الحكيم عن تغيير نهج منظمة التحرير مصداقية عملية... سيما أننا تمايزنا بحق تنظيمياً وكادرياً وصلابة وأحرزنا شهرة في العمل السري والصمود في الزنازين... ولما استمزجنا عن استعداد إحدى الجامعات لفتح بوابات التأثير لقاء الدعم المالي اصطدمنا بحقيقة فقرنا، وقلنا طالما أن المال غير متاح ولا نستطيع منافسة اليمين فيه فلنبحث عن مداخل أخرى لبناء قاعدة وجودنا في المجتمع.

ومرات تكررت مقولة لينين في المراسلات الحزبية (السياسة هي الصراع القومي والطبقي) وطالما أنها صراع يتعين بناء أدوات الصراع، وكانت تستحثنا هذه المقولة يومياً لتأمين استحقاقاتها، فهي شغلنا الأساس، رغم بطش الاحتلال الذي لا يكل ولا يمل... ولاحظنا في أواسط الثمانينات